بكتْ عيني اليُمنى،فلما زَجَرْتُها عن الجهل بعد الحلم ، أسْبلتا معاً
تلفتُّ نحو الحيِّ حتىٰ وجدْتني وجِعْتُ من الإصغاءِ ليْتاً وأخْدعا
وأذكرُ أيامَ الحمىٰ ، ثم أنثني على كِبدي من خشيةٍ أنْ تصدّعا (١)

هذه هي المقطوعة كلها ، وهي على قصرها تمثل تجربة إنسانية صادقة،تجربة الصراع بين الإرادة والقلب ، إرادة الصّمة التي قررت ترك نجد بعد المطالب المعجزة لعمه لقاء تزويجه (ريّا).والقلب الذي بقي يتلفت بعد قرار الرحيل مغاضباً،والكبد التي بقيت تتصدع،لاهي قادرة في التأثير على الإرادة ، ولا الإرادة بمستجيبة لنوازع هذه الكبد !! .

ولم يكن الإسلام يوماً ضد واحد من هذين المتصارعين ، ولكنه وَازن بينهما في تعادلية عجيبة ، وتناسق شفيف . وليس هذا موضعُ بسط القول في هذه القضية. والذي نريد تقريره هنا هو أنه من الخسارة الكبيرة أن ندع جانباً هذا المخزون الضخم من المشاعر في تجربة الشعر العذري الذي وضعه الإسلام واحتضن منازعه ، وأحسب أن (الجدّية) عند إخواننا نقاد نظرية الأدب الإسلامي من جانب،وأولوية موضوعات الصراع مع القوى المضادة للإسلام من جانب آخر،جعلتهم يُرجئون البت في قضية هذا الشعر الغزلي العفيف ،وأظن أن الوقت سيحين لتملّي هذه التجارب الإنسانية العميقة،خاصة بعد الإنتهاء من مرحل البحث عن الأصول التنظيرية للأدب الإسلامي .

ومسألة ثانية تشبه هذه المسألة نالها العسف من النقاد غير الإسلاميين ، وتركت ظلالها على الإسلاميين أيضاً ، وهي الحكم الذي كان يصدر دائماً على شعر الحكمة بعزله عن دائرة الشعر ، وما الأمر كذلك في الشعر العربي ولا في الشعر العالمي ، فمن شعر الحكمة ما ارتبط بشخصية قائله ، ومثّل تجربة حياتية متحركة . وليست مفاهيم منعزلة عن هذه الشخصية . وذلك مافعله المتنبي – مع اختلافنا معه في بعض المواقف والتوجهات – في هذه المقطوعة الفريدة . . الفريدة